التراث العربي

العـــدد: (95)- (رجب)- 1425 هـ= (أيلول) 2004- الســـنة الرابعة والعشـــرون

المدير المسؤول
د . علي عقلة عرسان

رئيس التحرير
د . محمود الربداوي

أمينة التحرير
جمانـــة طـــه

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

هيئة التحرير

د . محمد زهير البابا
د . وهبة الزحيلي
محمود فاخوري
زهير حميدان
د . علي أبو زيد

شروط النشر

1-أن تكون البحوث تراثية، أو تصب في باب التراث.

2-أن تكون جديدة، ولم تنشر من قبل وليست مستلّة من كتاب منشور.

3-التقيد بمنهج علمي دقيق، والتزام الموضوعية، والتوثيق والتخريج، وتحقق السلامة اللغوية.

4-أن تكتب بخط واضح، ويفضل أن تكون مطبوعة،وعلى وجه واحد من الورقة.

5-ألا تزيد على ثلاثين صفحة.

6-أن تراعى علامات الترقيم.

7-توضع الحواشي في أسفل الصفحة، ويلتزم فيها المنهج العربي، أي يكتب اسم الكتاب، فالمؤلف، فالمحقق، فالجزء والصفحة.

8-يثبت في آخر البحث فهرس المصادر والمراجع وفق ترتيب حروف الهجاء لأسماء الكتب، مثال: (طبقات فحول الشعراء: ابن سلام- تح.محمود شاكر- القاهرة- مط. المدني- ط3، 1974م).

9-يقدم للبحث بملخص عنه في بضعة أسطر، ويرفق بلمحة عن سيرة المؤلف وعنوانه.

10-يمكن أن تنشر المجلة نصوصاً تراثية محققة، إذا استوفى النص شروط التحقيق.

11-تخضع الأبحاث المرسلة للتحكيم العلمي.

12-لا تعاد الأبحاث إلى أصحابها، ويبلغون بقبول نشرها، أو الاعتذار إليهم.

13-الأبحاث والمقالات التي تنشر تعبّر عن آراء كتّابها، ولا تعبّر بالضرورة عن رأي المجلة أو الاتحاد.

14-ترتيب البحوث داخل العدد يخضع لاعتبارات فنية لا علاقة لها بمكانة الكاتب.

□□□

الاشـــــتراك الســـنوي

داخل القطر للأفراد	: 150 ل.س
في الأقطار العربية للأفراد	: 300ل.س أو (15) دولاراً أميركياً
خارج الوطن العربي للأفراد	: 450 ل.س أو (20) دولاراً أميركياً
الدوائر الرسمية داخل القطر	: 300 ل.س
الدوائر الرسمية في الوطن العربي	: 500 ل.س أو (25) دولاراً أميركياً
الدوائر الرسمية خارج الوطن العربي	: 650 ل.س أو (40) دولاراً أميركياً
أعضاء اتحاد الكتاب	: 75 ل.س

■ الاشتراك يرسل حوالة بريدية أو شيكاً يدفع نقداً إلى مجلة التراث العربي ■

المحتوى:

صـ

❑ التقديم: علم السيمياء بين التراث والحداثة..... رئيس التحرير 7

❑ الممات في اللغة..... د.موسى بن مصطفى العبيدان 11

❑ عناصر التخييل في الشعر العربي..... د.ميسون شوّا 33

❑ الأسلوب بين التراث البلاغي العربي والأسلوبية الحداثية..... د.محمد بلوحي 53

❑ الموشحات: أغان أندلسية..... ميخائيل أديب 75

❑ الرؤية الحالمة.. والتصور البديل: تأبط شراً مثالاً..... د.عبد الرحمن عبد الرحيم 96

❑ المدرسة والكتّاب وأصولهما اللغوية والتاريخية..... د.عبد الحق زريوخ 108

❑ أسلوب الشرط بين التعقيد والتيسير: قراءة نقدية معاصرة..... د.شوقي المعري 116

❑ الظل في الميثيولوجيا والمدونة التراثية والدينية والصوفية..... فاطمة بنت عبد الله الوهيبي 149

❑ العلم في الإسلام..... د.مصطفى بيطام 168

❑ لمحات علمية في القرآن الكريم..... محمد قرانيا 179

❑ الإسلام البريء..... أكرم شريم 193

❑ الدامغة..... مقبل التام عامر الأحمدي 200

❑ منبج المدينة المقدسة..... عبد الرحمن بدر الدين 236

❑ أخبار التراث..... أمينة التحرير 244

❑❑

المُمات في اللغة

د.موسى بن مصطفى العبيدان

الخلاصة:

تقوم اللغة بوظائف مختلفة، ومن الصعب تحديدها؛ لأن اللغة جزء من السلوك الإنساني. وتستمد اللغة حيويتها من تفاعلها مع المجتمع فتنمو مفرداتها بسبب عوامل التطور المختلفة، وفي الوقت نفسه تفقد بعض مفرداتها. وقد عبر اللغويون عن هذه الظاهرة الأخيرة بالمصطلحات الآتية: "المنكر" و "المتروك" و"المجهول".

وتحديد الكلمات المماتة في اللغة مسؤولية سلطة ذوي الاختصاص –أئمة اللغة– في كل عصر، وكذلك سلطة الجماعة اللغوية.

ويموت الدليل اللساني (الكلمة) بموت الدالّ، لأسباب لغوية، أو بموت المدلول، وذلك بموت بعض مظاهر النشاط الإنساني، أو بموت النُّظُم والعادات والتقاليد والأيديولوجيات.

والدليل اللساني المُمات إما أن يكون الأصلَ، وإما بعضَ مشتقات الأصل، وإما أسماءَ الأشياء.

تمهيد:

يذهب كثير من الباحثين إلى تحديد الوظائف التي تقوم بها اللغة في المجتمع، وقد ذكر منها فيرث (Firth): "الطلبات، والالتماسات، والدعوات، والاقتراحات، والنصح وتقديم العون، والإقرار بالفضل، والموافقة وعدم الموافقة، والتحية، والتوديع، والتشجيع، والإذن، والوعد، والاعتذار، والتهديد، والتحذير، والإهانة، والمحاجَّة"[1]. وبعضهم يخص اللغة بالوظيفة التواصلية أو الإبلاغية ومن هؤلاء العلامة ابن جني الذي يعرف اللغة بأنها: "أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم"[2].

---

[1] *علم اللغة الاجتماعي مفهومه وقضاياه، صبري إبراهيم السيد، نقلاً عن الراجحي، ص: ٩٥١. طبع ١٩٩٥م– الاسكندرية.*

[2] *الخصائص لابن جني، جـ١/ ٣٣. الطبعة الثانية. تحقيق: محمد علي النجار. بيروت –لبنان.*

ويضيف محمود السعران إلى الوظائف السابقة وظيفتين أخريين هما: الكلام الانفرادي (MONOLOGUE) وإخفاء الأفكار، وخاصة في لغة السياسيين والخارجين على القانون[١]. وإذا كان هؤلاء الباحثون اجتهدوا في تحديد الوظائف التي تقوم بها اللغة في المجتمع، فإن سابير (Sapir) يرى أنه: "من الصعب تحديد وظائف اللغة، ذلك لأن اللغة راسخة رسوخاً عميقاً في جملة السلوك الإنساني، بحيث لا يوجد جانب وظيفي من سلوكنا الواعي إلا وتلعب فيه اللغة دوراً كبيراً"[٢]. ورأي سابير يعد مقبولاً إذا أخذنا في الاعتبار تعدد أنماط السلوك الإنساني وتباينه من مجتمع لآخر، ومن عصر لآخر، ومن فرد لآخر، بحيث تقوم اللغة بدور أداة الربط في السلوك الإنساني والنشاط البشري المتفق عليهما بين الجماعات الناطقة باللغة وهي حتماً جماعات متباينة، وأنماط من السلوك الإنساني يصعب حصرها في وظائف محدودة، فكل ما كان نشاطاً أو سلوكاً إنسانياً يمكن تأديته بواسطة اللغة فهو وظيفة لها، مثل التحكم في النشاط الفيزيائي للناطقين باللغة، والتأثير في أفكار المستطعمين أو أفعالهم، وإقامة العلاقات الاجتماعية بينهم أو تقويتها، والتعبير عن انفعالاتهم، وإقامة الطقوس الدينية، والمحاكمات والبيع والشراء، وكل ما يتعلق بالزواج والطلاق... الخ.

وتؤدي اللغة وظائفها المختلفة ما دام المجتمع حياً يقوم بدوره في هذه الحياة ومستمراً فيها، وبهذا يمكن أن توصف اللغة بالحية (Living Language)، أي وجود جماعة حية من الناطقين بها، وينقلون من خلالها نشاطهم الإنساني وأنماط سلوكهم المختلفة. وقد تموت اللغة بموت الناطقين بها، وبهذا يمكن أن توصف اللغة بالميتة (Dead Language)، فهي إما أن تموت كلية بموت الناطقين بها، أو تبقى معروفة من الناحية النظرية دون أن يستعملها أحدٌ في الحياة اليومية العادية مثل: اللغة الساسانية، واللغة القوطية[٣]، وقد لا تستعمل اللغة في الحياة اليومية العادية، بل يقتصر استعمالها على المناسبات الدينية أو العلمية، مثل: اللغة اللاتينية، فحينئذٍ توصف اللغة بنصف حية، فهي لغة لم تندثر كلية، كما أنها لم تستعمل في الحياة اليومية العادية، وهذا ما يميزها عن اللغة والحية واللغة الميتة[٤].

تجدد الإرث اللفظي:

وتستمد اللغة الحية حيويتها من تفاعلها مع المجتمع فتنمو مفرداتها وتتجدد بتأثرها بعوامل التطور كالعوامل الاجتماعية المتمثلة في الوضع الحضاري للمجتمع ومدى تقدمه ورقيه، وبما فيه من نظم وعقائد وعادات وتقاليد واتجاهات فكرية ووجدانية وثقافة عامة، وبما فيه من نشاطات عملية

---

[١] *اللغة والمجتمع، محمود السعران، ص: ٢٢. طبع عام ١٩٦٣.*

[٢] *نقلاً عن كتاب علم اللغة الاجتماعي مفهومه وقضاياه. ص: ١٥٩.*

[٣] *انظر كتاب علم اللغة الاجتماعي: مفهومه وقضاياه. ص: ٥٢.*

[٤] *المرجع السابق. ص: ٥٢.*

وعقلية، إلى غير ذلك من مظاهر سلوكية مختلفة، فتتشكل اللغة برؤية الناطقين بها للحياة والكون، وكذا وعيهم وإدراكهم للواقع الخارجي الذي يعايشونه وفي الوقت نفسه تقوم اللغة بتشكيل عوامل الاستمرار لهذه الرؤية بممارسة تأثيرها الذاتي في ترسيخ رؤية هذا النسق الثقافي المعين. وما ذهب إليه البحث يخالف النظرية الأرسطية وفرضية وورف، فالنظرية الأرسطية ترى أن اللغة انعكاس مباشر للفكر، فهو سابق في الوجود على اللغة، فهي لا توجده ولا أثر لها فيه؛ لأن الفكر من خصائص الإنسان الذي يميزه عن غيره من المخلوقات[1]، أما فرضية وورف f or(Wh Hypothesis) التي ظهرت في منتصف القرن العشرين والتي أطلق عليها، فرضية النسبية اللغوية، فهي تذهب إلى أن اللغة لا تقوم بدور المشكل للفكر، وليست هي ناقلة للتصور الذهني المتماثل لدى جميع البشر[2]. فالنظرية الأرسطية للغة تسقط من حسابها أثر التجارب الإنسانية المختلفة في إثراء اللغة والتي تقوم بدورها –أي اللغة– في تشكيل عوامل استمرار الفكر، وفرضية "وورف" تسقط – هي الأخرى– من حسابها كذلك قضية التغير اللغوي، وتصل باللغة لتكون نسقاً مغلقاً غير خاضع للشرائط التاريخية وملابسات التفاعل مع أنساق ثقافية أخرى[3]، فاللغة والمجتمع في تغير مستمر، فمن البدهي إدراك التغير الاجتماعي ونواميسه ومظاهره، أما التغير اللغوي فهو يتطلب تفاعل القوى اللغوية الكلية والقوى الاجتماعية والثقافية الخاصة لتحريكه وتتجلى مظاهره في التغيرات اللغوية المختلفة الصوتية والصرفية والتركيبية والمعجمية.

واللغة الحية تجدد تراثها اللفظي بعوامل مختلفة: منها: تزويدها بألفاظ جديدة، أو بإحياء بعض الألفاظ المهجورة بطريقة منظمة، أو عن طريق الافتراض من لغات أخرى، أو عن طريق الاشتقاق والنحت.

وتسلك اللغة هذا المسلك لسد بعض النقص في الاستعمال اللغوي في الجوانب العلمية والاجتماعية والفكرية والإبداعية والاقتصادية... الخ. بقدر ما تمليه الضرورة ويتطلبه الاستعمال، وربط هذا بالضرورة يمنع اللغة من الترهل الذي يثقل كاهلها ويشق على الناطقين بها. فاللغة العربية على مر العصور تجدد تراثها اللفظي عن طريق التعريب (الاقتراض) من الفارسية واليونانية والسريانية وغيرها من اللغات المعاصرة لها، وفعلت الشيء نفسه في العصر الحديث، وقد حاول بعض الباحثين القدامى تتبع الألفاظ المعربة في اللغة العربية، ومن هؤلاء أبو منصور الجواليقي (ت ٥٤٠هـ) في كتابه: (المعرب من الكلام الأعجمي)[4]، والشهاب الخفاجي (ت ١٠٦٩هـ) في كتابه (شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل)[5]. فمن المعرب[6]: سندس،

---

(١) انظر اللغة والفكر والعالم، محيي الدين، ص: ١. الطبعة الأولى القاهرة ١٩٩١م.

(٢) المرجع السابق: ص: ١.

(٣) المرجع السابق: ص: ٢.

(٤) المعرب من الكلام الأعجمي، الجواليقي، تحقيق: أحمد محمد شاكر.

(٥) شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل للشهاب الخفاجي، طبع عام ١٢٨٢هـ. طبعة الوهبية.

(٦) المزهر في علوم اللغة وأنواعها السيوطي، عبد الرحمن جلال الدين، ج٢ ص/٨٦٨ طبع عام ١٩٨٦.

وسراط، وأسطول، وأسطورة، وإبليس، وأخطبوط، وزبرجد، وزنجبيل، وإبريق، ودينار، ودرهم، وفسطاط... الخ. وكذلك تجدد تراثها اللفظي عن طريق التوليد[١] ومنه الجريدة، والمجلة، والسيارة، والطيارة، والقطار، والهاتف. ومن المولدات التي يكثر دورانها في لغة الصحافة: الإنتاج، والانتهازية، والانهزامية، والتقدمية، والرجعية، والرائد، والعميل، واحتج، وساهم، وشجب، شجر، وفشل، وتكاتف، وهدف، وتضامن[٢].

ومن توليدات الأدباء تسمية السماء: الجرباء، والأرض: الغبراء والبسيطة، والأديم، وتسمية الحب: الهوى والغرام والعشق والوجد[٣]. وقد قام بعض اللغويين العرب بجهود مشكورة في مجال التوليد اللغوي خلال القرنين التاسع عشر والعشرين، ومن هؤلاء: أحمد فارس الشدياق، والشيخ خليل اليازجي، ونجيب حداد، والمعلم شاكر شقير، وخليل سعادة، وبشارة زلزل، وعبد الله البستاني، ويعقوب صروف، والشيخ سعيد الشرتوني، والأستاذ سليمان البستاني، والشيخ إبراهيم اليازجي[٤]. وأما تجديد اللغة العربية لتراثها اللفظي عن طريقي الاشتقاق والنحت فأمر يكاد لا يخفى على الباحثين. وبهذه الآلية استطاعت اللغة العربية أن تبقى حية على مر العصور، وأن تواجه التغيرات المختلفة التي تتطلب حضورها الدائم لتواكب التطور الحضاري والتقني.

التتبع الإجرائي لمصطلح المُمات ومرادفاته:

وإذا كانت اللغة العربية تجدد تراثها اللفظي، فيزداد مخزونها اللغوي فإنها في الوقت نفسه تواجه نقصاناً أو فقداً لبعض مفرداتها، وهي ظاهرة لا تخلو منها لغة من اللغات، وهي نسبية تتفاوت من لغة إلى أخرى، ومن عصر لآخر، وهذه الظاهرة عبر عنها بمصطلحات مختلفة، فقد عبر عنها لغويونا القدامى بالمصطلحات الآتية: "المنكر"[٥] و "المتروك"[٦] و "المجهول"[٧] و "لغة مرغوب عنها"[٨]، والمُمات[٩]. وعبر عنها اللغويون المعاصرون بمصطلح "انقراض الكلمات"[١٠]، و"المهجور" (Obsolete أو Archaic).

---

(١) كلام العرب من قضايا اللغة العربية حسن ظاظا، ص: ٧٩.
(٢) المولد في العربية خليل حلمي ص: ٦٥٤-٦٦٤.
(٣) كلام العرب، من قضايا اللغة العربية. ص: ١٠٥.
(٤) انظر بعض ابتكاراتهم في اللغة في المرجع السابق. ص: ٨٢-٨٤.
(٥) المزهر في علوم اللغة وأنواعها. جـ١/ ٢١٤.
(٦) المرجع السابق جـ١/ ٢١٤.
(٧) المرجع السابق جـ١/ ٢١٤.
(٨) المرجع السابق جـ١/ ٢١٤.
(٩) البارع في اللغة، القالي، ص: ٢٩٨. تحقيق: هاشم الطعان. وانظر لسان العرب ابن منظور، جـ٣/ ٤٨٩، جـ١٢/ ٢٨٩. وانظر جمهرة اللغة لابن دريد، جـ٢/ ٦٧٥.
(١٠) دور الكلمة في اللغة أولمان، ص: ١٨٨. ترجمة: كمال محمد بشر. كتاب المولد في العربية. ص: ١٤١.

فالمصطلحات الآتية: "المتروك" و "المهجور" و "المُمات" و "انقراض الكلمات" ذات مفهوم واحد يشير إلى الاستعمال المرحلي للكلمة أو اللفظ، ثم توقف هذا الاستعمال بسبب ما أدى إلى تركه أو هجره أو موته أو انقراضه فقد عرف السيوطي "المتروك" بأنه: "ما كان قديماً من اللغات ثم تُرك واستُعمل غيره"[١].

وتبعه في ذلك القنّوجي في كتابه "البلغة في أصول اللغة"[٢]. وكلمة "اللغات" الواردة في تعريف السيوطي لعله يعني بها بعض كلمات لهجات القبائل الفصيحة. إذ كثيراً ما يعبر اللغويون القدامى عن اللهجات الفصيحة باللغات فيقولون لغة قريش ولغة هذيل... الخ، قال عبد الملك بن نوفل: "سمعت أبي يقول لأبي عمرو بن العلاء: أخبرني عما وضعت مما سميته عربية، أيدخل فيها كلام العرب كله، فقال: لا، فقلت كيف تصنع فيما خالفتْك فيه العرب وهم حجة؟ قال: أعمل على الأكثر، وأسمى ما خالفني لغات"[٣]. وربما عنى بها السيوطي اللغات المتباينة للشعوب والأجناس، فيكون التعريف ليس مقصوراً على المتروك في لغة العرب، بل يشمل المتروك من لغات غيرهم، وقد عرف أبو البقاء الكفوي "المتروك" بأنه: " لا بقاء لمعناه ولا لأثره"[٤]، وهو تعريف غير دقيق؛ لأن بعض الكلمات المتروكة لا تستعمل صيغتها اللفظية لأداء معناها فيستغنون بكلمة أخرى عنها، يقول سيبويه في هذا: "وأما استغناؤهم بالشيء عن الشيء فإنهم يقولون "يدع" ولا يقولون و "وَدَعَ" استغنوا عنها بتَركَ وأشباه ذلك كثير"[٥]، كما أن المتروك صيغته باقية تحتفظ بها كتب المعاجم ضمن الصيغ المحنطة الأخرى، أو ما يمكن أن يطلق عليه "ألفاظ ساكنة المعاجم". ومن أمثلة المتروك في اللغة العربية أسماء أيام الأسبوع القديمة، وهي: السبت: شيار، والأحد: أول، والاثنين: أهون وأوهد، والثلاثاء: جُبار، والأربعاء: دُبار، والخميس: مُؤنس، والجمعة: عَرُوبة[٦]، وكذلك أسماء الشهور القديمة وهي: المحرم: المؤْتمر، وصفر: ناجِر، وربيع الأول: خَوان، وقالوا خُوان، وربيع الآخر: الأصمّ، وشعبان: عادل، ورمضان: ناتِق، وشوال: وَعْل، وذو القعدة: وَرْنَة، وذو الحجة: بُرك[٧]. أما مصطلح "المهجور" (Archaic) فقد عرفه محمد علي الخولي بأنه "صفة لكلمة أو تعبير كان مستعملاً في مرحلة قديمة من مراحل لغة ما، ولكنه لا يستعمل في المرحلة الحديثة من اللغة"[٨]، وهذا التعريف يحتوي تعريف "المتروك" الذي ذكرناه آنفاً، ويشترك معه في ذكر قيد: القدم واللغة، وعدم الاستعمال، ويفارق تعريف السيوطي تعريف الخولي في قيد "استعمال الغير أو البديل" وهو

---

(١) *المزهر في علوم اللغة وأنواعها*. جـ١/٢١٤.
(٢) *البلغة في أصول اللغة* محمد صديق القنوجي، ص: ١٦١.
(٣) *طبقات النحويين واللغويين*، الزبيدي، ص: ٣٩.
(٤) *الكليات*، الكفوي، ص: ٨٧٠.
(٥) *الكتاب* سيبويه، جـ١/ ٢٥. تحقيق: عبد السلام محمد هارون.
(٦) *المزهر في علوم اللغة وأنواعها* جـ١/ ٢١٩.
(٧) *المرجع السابق* جـ١/ ٢١٩.
(٨) *معجم علم اللغة النظري*، الخولي، ص: ٢٢.

غير لازم لأن بعض المتروكات يختفي حقلها الدلالي فتختفي هي دون حاجة إلى استعمال غيرها أو بديلها لاختفاء الحقل الدلالي ذاته فكلمة: المرباع، والنشيطة، والفضول[١] قد اختفت ولم يعد لها استعمال بعد الإسلام؛ لأن الإسلام قد حرم السلب، والنهب، وأكل أموال الناس بالباطل، فاختفت هذه الكلمات باختفاء حقلها الدلالي ولم توجد كلمات غيرها تستعمل بدلاً منها. وكذلك يفارق تعريف الخولي تعريف السيوطي في قيد "التعبير" –التركيب– وقيد "المرحلة الحديثة من اللغة "وهذان القيدان يشتمل عليهما ضمناً تعريف السيوطي، لأن لغة كل عصر تعد حديثة بالنسبة للعصور التي سبقتها. ولفظة اللغات "وتشمل هي الأخرى المفرد والمركب ومثال المركب قول العرب في الجاهلية "أبيت اللعن" فقد أماتها الإسلام وجعل بدلاً منها تحية "السلام عليكم"، وكذلك قولهم "أنعم صباحاً" و "أنعم ظلاماً" و "خبثت نفسي" و "استأثر الله بفلان" و"حجراً محجوراً"[٢]، إلى غير ذلك من التراكيب التي اختفت من الاستعمال.

أما مصطلح "المُمات" فإنه من استعمال اللغويين القدامى وخاصة أصحاب المعاجم، فقد استعمل اللفظ ذاته واستعمل أيضاً فعل "أميت" للدلالة على المُمات من الكلمات، فمثلاً أبو بكر بن دريد في معجمه (جمهرة اللغة) استعمل مصطلح "المُمات" ستاً وخمسين مرة[٣]، واستعمل فعل "أُميتَ" ست عشرة مرة[٤]، ووردت كلمة "أُميتَ" في معجم "كتاب العين" خمس مرات[٥]، أما كلمة "أماتَ" فقد وردت فيه ثلاث مرات[٦]، وورد مصطلح "الممات" في معجم "مقاييس اللغة" ثلاث مرات[٧]، وفعل "أُميتَ" مرتين[٨]. أما معجم "لسان العرب" فقد ورد فيه مصطلح "الممات" خمس مرات[٩]، أما فعل "أُميتَ" فقد ورد فيه ست مرات[١٠].

وقد أدرك اللغويون القدامى أن ما أُميتَ من كلمات اللغة كان مستعملاً قبل ذلك، فمات إما بموت أهله، يقول ابن فارس بعد أن أورد معنى "كذب عليك كذا"، بمعنى الإغراء "وما أحسب ملخص هذا وأظنه إلا من الكلام الذي درج ودرج أهله ومن كان يعلمه"[١١]، وإما بموت حقله

---

(١) *الصاحبي في فقه اللغة، ابن فارس، ص: ٩٠.*

(٢) *البلغة في أصول اللغة. ص: ١٨١.*

(٣) *جمهرة اللغة جـ١/ انظر الصفحات التالية: ١٢٤، ٢٨٥، ٤١٩، ٢١، ٤٣٣، ٤٨٥، ٤٨٦، ٥٧٢. جـ٢/ ٦٣٣، ٦٣٧، ٦٤٧، ٦٥١، ٦٥٥، ٦٥٦، ٦٦٣، ٦٧٥.*

(٤) *المرجع السابق. انظر الصفحات الآتية: جـ١/ ٧٩، ٨٥، ٩٠، ١٠١، ١١٧، ١٣٧، ١٣٨، ١٤٦، ١٥٧، ١٦٥، ٤٢٩، ٣٨٤، ٤٢٦، ٥٦٣، جـ٢/ ٦٨١، ٨٠٦.*

(٥) *كتاب العين، الخليل بن أحمد. انظر الصفحات التالية من المعجم جـ٢/ ٢٠١، ٢١٥، ٢٧٠. جـ٤/ ٢٤، جـ٧/ ٣٣٠.*

(٦) *المرجع السابق، انظر الصفحات التالية: جـ٢/ ٢٤٧، جـ٤/ ٨٠، جـ٨/ ١٩٦.*

(٧) *مقاييس اللغة، ابن فارس، جـ٣/ ١٤، ٣١٠، جـ٥/ ٢٤١. تحقيق: عبد السلام محمد هارون.*

(٨) *المرجع السابق جـ٤/ ١١٨، ٢٠٥.*

(٩) *لسان العرب، ابن منظور، جـ١/ ٦٣٩، جـ٣/ ٢٠٥٢، جـ٦/ ٤١٦٠، ٤٢٢٨، ٤٦٨١.*

(١٠) *انظر المرجع السابق جـ٢/ ١٢٧٤. جـ٤/ ٢٩٥٠، ٢٨٣٢، جـ٥/ ٣٩٧٩، جـ٦/ ٤٧٣٧.*

(١١) *مقاييس اللغة جـ٥/ ١٦٨ ومعنى درج: انقرض ومات.*

الدلالي يقول ابن فارس: "ومن الأسماء التي كانت فزالت بزوال معانيها قولهم: المرباع والنشيطة والفضول (....)، ومما ترك أيضاً: الإتاوة والمكْس والحُلوان"[١].

وهذا يعني أن اللغويين القدامى كانوا مدركين لظاهرة اختفاء بعض الكلمات من اللغة المستعملة فوضعوا لها المصطلح المناسب وهو "المتروك" أو "الممات" وحددوا مفهومه تحديداً دقيقاً. كما أنهم وقفوا على بعض أسباب حدوث هذه الظاهرة.

أما مصطلح "انقراض الكلمات" فقد شاع عند اللغويين المحدثين، أمثال فيرث (Firth) في كتابه "درر الكلمة في اللغة"[٢]، وحلمي خليل في كتابه "المولَّد في العربية"[٣] وعند غيرهم، إلا أنني لم أعثر على تعريف له في كتب المعاجم اللغوية الحديثة، ولربما كان ترجمة لمصطلح (Archaic) أو لمصطلح (Obsolete) اللذين ترجمهما الخولي بـ (بائد، مهجور، مهمل)[٤]، وما وضع من تعريف لمصطلح مهجور يمكن أن يكون له.

وأما بقية المصطلحات وهي "المنكر" و "المرغوب عنه" و "المجهول" فيتجافى مفهومها عما أماتته اللغة من مفرداتها، فهي تفيد أن بعض كلمات اللغة انحطت درجة فصاحتها، وقلّ استعمالها، وأنكرها بعض أئمة اللغة ولم يعرفها[٥] فهي ضعيفة من جهة النقل وعدم الثبوت.

وأرى أن عدم الفصاحة وعدم ثبوت النقل سببان من أسباب اختفاء الكلمات، ولذا فإن بين مصطلح الممات/ المتروك، وبين هذه المصطلحات، عموماً وخصوصاً. فكل منكر أو مجهول أو مرغوب عنه من الكلمات مُمات وليس كل ممات منكراً أو مجهولاً أو مرغوباً عنه.

ولما كانت المصطلحات الآتية: "المتروك" و "الممات" و "المجهور" و"انقراض الكلمات" ذات مفهوم واحد، فإني سأقتصر في البحث على استعمال مصطلح "الممات" للاعتبارات الآتية:

١-أن مصطلح "الممات" مصطلح لغوي قديم استغله اللغويون القدامى أمثال ابن دريد (٣٢١هـ) في معجمه (جمهرة اللغة)، وابن فارس (٣٩٥هـ) في معجمه (مقاييس اللغة) وغيرهم كثير.

٢-أنه أكثر تردداً في الاستعمال من غيره عند اللغويين القدامى -كما سبق- فقد تردد استعماله عند ابن دريد في معجمه نحو ست وخمسين مرة وعند ابن فارس في "المقاييس" حوالي ثلاث مرات وعند ابن منظور في معجمه "لسان العرب" حوالي خمس مرات.

---

[١] *الصاحبي في فقه اللغة. ص: ٩٠-٩١.*
[٢] *دور الكلمة في اللغة. ص: ١٨٨.*
[٣] *المولد في العربية. ص: ١٤١.*
[٤] *معجم علم اللغة النظري: ص: ٢٢، ١٩١.*
[٥] *المزهر في علوم اللغة وأنواعها. جـ١/١٤، ٢١٩.*

٣-أنه إذا تعددت المصطلحات لمفهوم واحد فلا غضاضة في استعمال أحدها في الدلالة على المفهوم المراد عملاً بالمقولة المشهورة (لا مُشاحَّة في الاصطلاح).

مسؤولية تحديد المُمات من الكلمات:

ولكن.. هل تموت الكلمات أو تنقرض أو تُهجر أو تُترك إلى الأبد؟ يقول فيرث: "إنه من الخطر أن تقول: إن كلمةً ما (قد ماتت)، إذ إن هناك دائماً احتمال (عودتها إلى الحياة)، ولو كان ذلك بعد قرون عديدة من الهجوم والاختفاء من الاستعمال"[١]، وكلام فيرث صواب إلى حد كبير، مثال ذلك "مومس" جاء في معجم لسان العرب: "امرأة مومس ومومسة: فاجرة جهاراً"[٢]، وهي كلمة يونانية "ميمُس" بمعنى الراقصة المعبرة برقصتها دون غناء أو تمثيل أو كلام (...) ثم دخلت إلى العربية قديماً بمعنى: محترفة الدعارة الوثنية الدينية بجوار المعبد[٣]، فلما جاء الإسلام حرّم عبادة غير الله وكل ما يمتّ إليها بسبب، وكذلك حرم الزنى وكل ما يمت إليه بسبب فماتت كلمة "مومس"، ولكن مع تغير الظروف الاجتماعية وابتعاد كثير من المسلمين عن هدى الإسلام عادت كلمة "مومس" إلى الحياة بمعناها المعجمي أي: المرأة البَغِيّ الفاجرة جهاراً. ومثل هذا قد يحدث فتعود بعض الكلمات إلى الحياة ولو بعد قرون فتواصل سيرتها الأولى، وفي المقابل أن هناك بعض الكلمات ماتت إلى الأبد وليس ثمة احتمال لعودتها إطلاقاً ومثال ذلك ما أماته العرب من أصول بعض الكلمات مثل "ضَرَك" أصل ممات ومنه اشتقاق الضريك وهو المضرور، ولا يكادون يعرفون للضريك فعلاً، ولا يقولون: "ضركه" في معنى "ضره"[٤].

ومما أماته العرب مصدر بعض الأفعال وماضيها، فلم يستعملا البتة، فقد أماتوا المصدر من "يذر" والفعل الماضي معاً، واستعملوا الحاضر والأمر: "يذَر" و "ذرْ"، وإذا أرادوا المصدر قالوا: ذره تركاً[٥]، ولعل إبقاء الممات على حاله محكوم بقوة المحافظة، وهي نزعة طبيعية عند المتكلمين باللغة، تسعى إلى الإبقاء على النظام اللغوي كما عرفوه في جميع حالاته الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية، لكي لا يتغير ولا يختلف، ولذلك تبقى هذه القوة الممات على حاله وخاصة إذا أميت لأسباب صوتية.

ولما كان موت الكلمات ظاهرة عامة لم تخل منها لغة من اللغات، فمن المسؤول عن تحديد الكلمات المُماتة؟

---

[١] دور الكلمة في اللغة، ص: ١٩٢.
[٢] لسان العرب حـ٦/٢٢٤.
[٣] كلام العرب من قضايا اللغة العربية. ص: ١٤٥.
[٤] جمهرة اللغة جـ٢/٧٥١.
[٥] كتاب العين حـ/ ١٩٦.

إن الذي يملك الحق في تحديد الكلمات المماتة هو من يتمتع بقوة قهرية تفوق القوة التي تتمتع بها السلطة الخارجة عن اللغة، وهي سلطة ذوي الاختصاص –أئمة اللغة– التي خولتها الجماعة الناطقة باللغة حق الحكم بالتصويب أو التخطئة، وكذلك تحديد الكلمات المماتة، فإننا نقبل هذا التحديد إذا صدر مثلاً عن أئمة اللغة العرب أمثال الخليل بن أحمد، وسيبويه وأبي بكر بن دريد، وأحمد بن فارس، وابن منظور، وأبي حيان، والسهيلي. فعلى سبيل المثال يقول السهيلي: "وهذه الألفاظ –يعني الظروف– كلها ليس يخفى بأدنى نظر أنها مأخوذة من لفظ الفعل، فخَلْف من "خلفت"، و "قُدّام" من "تقدمت" و "فوق" من "فُقْت" و "أمام" من "أَمَمْتُ" أي قَصدْت، وكذلك سائرها، إلا أنهم لم يستعملوا فعلاً من [كلمة] "تحت"، ولكنها مصدر في الأصل أميت فعله"[1]. ويمكن أن تقوم بهذا الدور المجامع اللغوية في العصر الحديث، وإنما يقبل حكم سلطة ذوي الاختصاص –أئمة اللغة والمجامع اللغوية–؛ لأن الجماعة اللغوية، وهي سلطة أعلى أعطتها الحق في إصدار الحكم اللغوي. وهناك قوة أخرى أكبر من قوة سلطة ذوي الاختصاص، ألا وهي قوة العرف اللغوي، وهي قوة قهرية تستمد قوتها من سلطة الجماعة اللغوية أيضاً، وقد خولتها كذلك لتحديد الكلمات المماتة، "لأن العرف اللغوي هو مجرد قبول لما تجرى عليه العادة"[2]، وانطلاقاً من هذه السلطة فإن كل فرد من مستعملي اللغة يحرص على ألا يستعمل ما تعورف على إماتته من الكلمات، يقول أوتوجيسبيرسن (Otto Jespersen) في سلطة العُرف اللغوي: "كل شخص يحاول المحافظة على ما ثبت أو استقر أو تعورف عليه، فإذا خرج عن ذلك فالنتيجة أن كلامه لا يؤدي فكرته مطلقاً أو يؤدي ذلك إلى إساءة فهم، لكن الغالب أن يفهم كلامه بصعوبة إذا يحس سامعوه بشذوذ في اختيار الكلمات أو التعبيرات أو النطق"[3].

أسباب موت الكلمات:

يتكون الدليل اللساني من الدال (sighiticant) وهو: سلسلة من الأصوات ذات ترتيب معين، ومن المدلول (Signify) وهو: التصور الذي يحضر في الذهن عند سماع الدال أو رؤية الشيء الذي يحيل إليه، ومن المرجع (Sigifiant) وهو: الشيء الذهني أو الخارجي في عالم الواقع، ويرى معظم الباحثين اللغويين أمثال دي سوسير وأستيفن أولمان (Stephen Ullmun) ومن قبلهم كثير من الأصوليين أن العلاقة بين الدال والمدلول علاقة اعتباطية يعقدها واضع اللغة بينهما من غير تعليل، أي ليس بموجب علة منطقية عقلية[4]، كما يرون أن بينهما علاقة متبادلة، أي أن كلاً منهما يستدعي الآخر، يقول أولمان: "فليس اللفظ وحده هو الذي يستدعي المدلول، بل إن المدلول أيضاً

---

[1] نتائج الفكر في النحو، السهلي، ص: ٣٩٢.

[2] المستوى اللغوي للفصحى واللهجات للنشر والشعر عيد، محمد، عالم الكتب. ص: ٢٣.

[3] نقلاً عن المرجع السابق، ص: ٢١.

[4] علم اللغة العام، فردينان، ٨٧. ترجمة يوئيل يوسف عزيز. وانظر كذلك كتاب دور الكلمة في اللغة، ص: ٧٣. وانظر الأحكام في أصول الأحكام، ابن حزم حـ١/٣٣. وانظر المحصول في علم الأصول فخر الدين الرازي جـ١ ق١، ص: ٣٤٦.

يمكن أن يستدعي اللفظ"[١]، فالرابط بينهما إذن رابطة نفسية، فإننا عندما نسمع اللفظ أو نفكر فيه، فإننا نفكر في مدلوله، وكذلك العكس، فمثلاً عندما نفكر في اسم "أسد" نفكر في الوقت نفسه في مفهوم "أسد"، وكذلك العكس عندما نفكر في مفهوم "أسد"، فإننا نفكر في اسم "أسد"، وهكذا يتكون المعنى للألفاظ من خلال قابلية النفس ربط الدال بالمدلول أو المدلول بالدال. أما عن العلاقة بين الدال والمرجع فهي علاقة غير مباشرة تمر عبر المدلول. فالدورة –كما يقول "أولمان" يجب أن تبدأ عن طريق المدلول الذي يستدعيه الدال والذي يرتبط بالشيء[٢]. وقد عني الأصوليون ببحث هذه العلاقة في مباحثهم الأصولية تحت مسألة (الموضوع له)[٣].

فإذا كانت العلاقة بين الدالّ والمدلول علاقة متبادلة، والرابطة بينهما رابطة نفسية، كما أن العلاقة بين الدالّ والمرجع علاقة غير مباشرة تمر عبر المدلول، فإن الإماتة قد تصيب الدال فقط أو تصيب المدلول فقط أو تصيبهما معاً، وأسباب إماتة الدليل اللساني كثيرة، فمنها ما يتعلق بالدالّ ومنها ما يتعلق بالمدلول.

إماتة الدالّ:

يُمات الدال اللساني نتيجة للأسباب الآتية:

١-التنافر الصوتي:

يتكون الدال من متوالية صوتية ذات تركيب مخصوص تفيد معنىً، فالكلام الإنساني في حد ذاته – كما يقول إخوان الصفا– يتحدد بداهة بأنه حروف صوتية مفردة إذا أُلّفتْ صارت ألفاظاً، والألفاظ إذا ضمنت المعاني صارت أسماء...[٤]، وكذلك أكدوا أن ما يخرج التصويت اللساني من مجرد اللغو إنما هو التقطيع والتأليف[٥]، وإذا كان الدالّ اللساني يباين غيره بما فيه من التقطيع والتأليف؛ فإن الدوال اللسانية المفيدة معنى بينها تفاوت في كيفية متوالياتها الصوتية فمنها ما يكون بين متوالياتها انسجام صوتي، وهو ما عبر عنه البلاغيون بعدم تنافر الحروف[٦]، فتكون الكلمة سهلة على اللسان، شائعة في الاستعمال، فيكتب لها طول البقاء غالباً. ومنها ما يكون بين متوالياتها الصوتية تنافر، فتكون الكلمة ثقيلة على اللسان يصعب النطق بها، فتصبح قليلة الاستعمال وربما تمات بسبب ذلك، وهذا محكوم بتقارب المتواليات الصوتية من حيث المخارج أو تباعدها وقد أدرك ذلك اللغويون القدامى، يقول ابن دريد: "إذا استعملتَ اللسانَ في حروف الحلق دون حروف الفم

---

[١] دور الكلمة في اللغة، ص: ٦٥. وانظر كتاب علم اللغة العام، ص: ٨٦.
[٢] انظر كتاب دور الكلمة في اللغة، ص: ٦٤.
[٣] إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، الشوكاني، ص: ١٤. دار الفكر.
[٤] رسائل إخوان الصفا وخلان الوفا جـ١/ ٤٠٠.
[٥] المرجع السابق جـ٣/ ١١٤-١١٥.
[٦] الإيضاح في علوم البلاغة، القزويني، ص: ٧٢. شرح وتعليق. محمد عبد المنعم خفاجي.

وحروف الذلاقة كلّفتَه جرساً واحداً وحركات مختلفة (...) أما إذا تباعدت مخارج الحروف حسن وجه التأليف"[١]. فمثلاً كلمة "الهُعْخع": فحرف "الهاء" مخرجه من أقصى الحلق، أو داخل المزمار، وحرف "العين" مخرجه وسط الحلق، وحرف "الغين" مخرجه أدنى الحلق إلى الفم، فحروف هذه الكلمة مخرجها الحلق من أقصاه ووسطه وأدناه، فالنطق بها يكون غاية في الثقل لذا أميتت في الاستعمال، وكذلك الحال في مثيلاتها مما تقارب مخارج متوالياتها الصوتية، ومن ذلك الفعل "عهج"، يقول ابن دريد: "العهج فعل ممات ومنه اشتقاق ظبية عوهج: طويلة العنق، والواو زائدة"[٢]، وكذلك "عقس"، يقول ابن دريد: "العقس فعل ممات ومنه اشتقاق عوقس"[٣] ولعل السبب في موته التقارب الشديد في مخرجي صوت "العين" و "القاف"، "فالقاف" حرف لهوي يتم نطقه برفع لأقصى اللسان حتى يلتقي بأدنى الحلق واللهاة، وحرف "العين" حلقي يتم نطقه بتطبيق المجرى الهوائي في الفراغ الحلقي. فهذا التقارب في المخرج ينجم عنه ثقل في النطق، لذا أميت هذا الفعل.

وقد ينجم عدم الانسجام الصوتي من تنافر صفات الحروف فمثلاً كلمة "مستشزرات" الواردة في بيت امرئ القيس[٤].

غدائرُهُ مُستشزِراتٌ إلى العلى تظلُّ المداري في مثنّىً ومُرسَلِ

فهي كلمة ثقيلة بسبب توسط حرف "الشين" –وهو صوت لثوي حنكي احتكاكي مهموس– بين "التاء"، وهو صوت أسناني لثوي انفجاري مهموس، وبين "الزاي" وهو صوت لثوي احتكاكي مجهور. لهذا هجرت هله الكلمة لثقلها فماتت في الاستعمال.

٢-المخالفة الصوتية:

يموت بعض الكلمات بسبب المخالفة الصوتية فينجم عنها كلمة جديدة لها معنى الكلمة الأصل بينما يموت هذا الأصل، ويكون هذا كثيراً في المضعف الثلاثي، وذلك بتكرار الحرف الأول من الكلمة عوضاً عن أحد الحرفين المتماثلين، فتتحول الكلمة من الثلاثي إلى الرباعي، فيموت الأصل الثلاثي مثال ذلك لفظ "الهث" أميت وألحق بالرباعي في "الهثهثة"، وهو اختلاط الصوت في الحرب أو في الصخب[٥]، و "الجع" أميت فألحق بالرباعي في جعجع، والجَعجعة: القعود على غير طمأنينة[٦]، و "الكحّ" أميت فألحق بالرباعي فقيل "كُحْكُحْ"، والناقة الكُحْكُح: الهرمة التي لا تَحبس لعابها[٧]، و "ذع" استعمل منه في التكرير: ذَعذَع الشيء: إذا فرّقه، وكان الأصل ذعه ذعاً، ثم أميت

---

[١] جمهرة اللغة جـ١/ ٤٦.
[٢] المرجع السابق جـ١/ ٤٨٦.
[٣] المرجع السابق جـ٢/ ٨٤٠.
[٤] شرح ديوان امرئ القيس، ص: ٣٤.
[٥] جمهرة اللغة جـ١/ ٨٥.
[٦] المرجع السابق جـ ١/ ٩٠.
[٧] المرجع السابق جـ ١/ ١٠١.

هذا الفعل وألحق بالرباعي في "ذعذع"[١] و "رفّ الطائر فعل ممات ألحق بالرباعي فقيل "رفرف" الطائر إذا بسط جناحيه[٢] والأمثلة على ذلك كثيرة في لغة العرب.

٣-الزيادة على الأصل:

وهي نمط من أنماط التطور اللغوي الذي يصيب الصيغ الاسمية والفعلية، والزيادة على الأصل إما أن تكون خارجية (Suffix) تلحق الصيغة من أولها أو آخرها، وإما أن تكون داخلية (Infix) أي مقحمة داخل الصيغة. والزيادة على بنية الصيغة إما أن تؤدي إلى موت الأصل، أو أنها تؤدي إلى موت الصيغة المزيدة، فمثلاً كلمة "الثعْر" مماتة وهي أصل بناء "الثعرور" والثعروران كالحلمتين تكتنفان غرمول الفرس عن يمين وشمال، وكذلك الزائدتان على ضرع الشاء[٣]، وكذلك "سفج" فعل ممات، ذكر الخليل بن أحمد: أن منه بناء "السفنج" النون زائدة وهو الظليم[٤]. وقولهم لحَكَ يلحك لَحْكاً ولَحَكاً: إذا تداخل بعضه في بعض، وقد أميت هذا الفعل فاكتفوا بقولهم: تلاحكَ تلاحكاً[٥]، وكذلك "محن" فعل ممات واستعمل منه امتحنه امتحاناً[٦].

ومما أميت بعد الزيادة صيغٌ عدّتها العرب بالهاء فمات كثير منها وحل محل التعدية بالهاء في بعض منها التعدية بالهمزة، ومن ذلك. هنارَ وأنارَ، وهلقمَ وألقمْ، وهراحَ وأراح. يقول إسماعيل عماير في ذلك: "لقد تعطلت التعدية بالهاء فلم تعد قياسية، أو قُل دخلت في باب الأقيسة المهجورة"[٧] ومن هذه الصيغ التي ماتت بعد زيادتها بالهاء كلمة "هبلع" و "هجرع" و "هِرْكَوْلة" و "هِلْقامة"[٨]، على وزن هفعل وهِفعَوْلة، وهِفْعالة وهي أقيسة مُماتة أو مهجورة بسبب قلة الاستعمال الذي ينجم عنه نسيان اللفظ، ثم هجره أو موته.

٤-الاقتراض اللغوي:

يعد الاقتراض اللغوي (Borrowing) إحدى الوسائل التي تنمو بها الثروة اللفظية، فإن أي لغة ذات عمق تاريخي، وذات ثقافة وأدب وحضارة، لا تستطيع أن تستمر فترات طويلة من حياتها، منكفئة على ثروتها اللفظية الخاصة دون أن يكون لها مدد خارجي من لغات أخرى لها قدرة على التأثير لأسباب مختلفة، يضيق المقام عن ذكرها، ومن ذلك تبادل التأثير بين اللغة العربية وأخواتها الساميات، وبين العربية واللغات اليونانية والفارسية والهندية، ولا زالت اللغة العربية في وقتنا

---

(١) المرجع السابق جـ ١/١١٧.
(٢) المرجع السابق جـ ١/١٢٤.
(٣) المرجع السابق جـ ١/٤٢١.
(٤) المرجع السابق جـ ١/٤٧٤.
(٥) المرجع السابق جـ ١/٥٦٣.
(٦) المرجع السابق جـ ١/٥٧٢.
(٧) معالم دراسة في الصرف، إسماعيل أحمد، ص: ٣٢-٣٣.
(٨) شرح المفصل، ابن يعيش، جـ١٠/٥.

الراهن تقترض من اللغات المعاصرة حسبما تمليه الضرورة والحاجة الملحة، وهي ليست بدعاً في هذا، بل إن اللغات المعاصرة تفعل مثل ذلك. ومن الألفاظ التي افترضتها اللغة العربية من لغات مختلفة: قارورة، وجهنم، وأسفار، وسُرى، والجِبْت، وسرر، ورهو، واستبرق، والرَّقيم، ومُهل، والبستان، وسَجنْجل، وفلين، وتلفون... الخ.

وإذا كان الاقتراض اللغوي يؤدي إلى زيادة الثروة اللفظية للغة القومية، فإنه في الوقت نفسه سبب من أسباب موت بعض كلمات اللغة الأصلية، فإذا شاعت بعض الكلمات المقترضة بسبب كثرة الاستعمال فإنه يندر استعمال مقابلها من كلمات اللغة الأصلية حتى ينتهي بها المطاف إلى موتها أو هجرها، ومن أمثلة ذلك في اللغة العربية[١]: استعمال العرب لكلمة "الإبريق" بدلاً من "التامورة"، و "الأُشنان" بدلاً من "الحُرُض" و "الأُترج" بدلاً من "المُتْك" و "التوت" بدلاً من "الفِرصاد" و "الياسمين" بدلاً من "السمْسَق" و "اللوبيا" بدلاً من "الدجر" و "الكُزْبَرة" بدلاً من التقَدة، و "الخيار" بدلاً من "القثد"، و "الباذنجان" بدلاً من "الحدج".

فهذه الكلمات العربية الأصيلة ليس لها استخدام اليوم في العربية المعاصرة، فهي كلمات مماتة أو مهجورة وحل محلها هذه الكلمات المعربة أو المقترضة.

٥-التطور الصوتي.

يعد التطور الصوتي (Phonetic Evolution) أحد عوامل التطور اللغوي، ونشوء بعض الظواهر اللغوية، مثل ظاهرتي الترادف، والمشترك اللفظي، وهو كذلك عامل مهم من عوامل الممات اللغوي، إذ يصادف أن تكون لفظتان مختلفتي الدال والمدلول، فيحدث في إحداهما تطور صوتي فتتفق مع الأخرى في الدال، بينما دالها الذي كان لها بأصل الوضع قد اختفى أو مات، فمثلاً كلمة "مردَ" بمعنى: أقدمَ وعَتا. وكلمة "مردَ الخبزَ" بمعنى لينه بالماء[٢] فالكلمتان من المشترك اللفظي وأصل الكلمة بالمعنى الثاني هو "مرثَ" تقول: مرثَ الخبزَ في الماء: أنقعه فيه ولينه. فقد أبدل صوت "الثاء" هنا "تاء" فصارت الكلمة "مرت" ثم جهرت "التاء" لمجاورتها لحرف "الراء" فصارت "مرد"، وبذلك ماثلت صوتاً كلمة "مرد" بمعنى: أقدم وعتا، وأضافت لها معنى آخر: وهو: تليين الخبز بالماء بينما اختفت كلمة مرث من الاستعمال. وكلك كلمة "دعم"، تقول: دعمت الجدار، أي قويته، ودعمه: دفعه وطعنه[٣]، وأصل الكلمة بالمعنى الثاني هو: "دحم"[٤]، فتطورت الحاء وجهرت بسبب مجاورتها لحرف "الدال" فقلبت إلى "عين"، فصارت "دعم"، وبذلك ماثلت صوتاً كلمة "دعم" بمعنى: قوى، ومضيقة لها معنى آخر، وهو: الدفع والطعن، بينما اختفت كلمة "دحم". وعلى ذلك فإن

---

[١] *المزهر في علوم اللغة وأنواعها* جـ١/ ٢٨٣-٢٨٤.

[٢] *كتاب الإبدال، أبو الطيب اللغوي*، جـ١/ ١٥٩، *عز الدين التنوخي*.

[٣] *لسان العرب* جـ١٢/ ٢٠١.

[٤] *كتاب الإبدال* جـ١/ ٢٩٤.

اتحاد الصيغتين بسبب التطور الصوتي في قالب واحد أو دال واحد يضيف إلى إحداهما مدلولاً آخر لم يكن له من قبل، بينما تهجر في الغالب الصيغة التي كانت قبل حدوث التطور الصوتي.

٦-كثرة الاستعمال.

تستعمل طائفة من كلمات اللغة على نحو معين إما لجدّتها أو لطرافتها أو لخفتها أو لمخالفتها للمألوف.

ثم يكثر استعمالها وتداولها فيخفت ما فيها من بريق فتصبح خالية من الإثارة، فتأخذ هذه الكلمات بحكم (قانون التضاؤل التدريجي)[١] طريقها إلى قلة الاستعمال أو ندرته ثم إلى الموت أو الهجر، مفسّحةً المجال لظهور ألفاظ أكثر إثارة لتحلّ محلها للدلالة على معناها، ومن الألفاظ التي أميتت بحكم (قانون التضاؤل التدريجي) الألفاظ الدالة على العملية الجنسية، والأعضاء التناسلية، وقضاء الحاجة ومكانها، فما أن يشيع اللفظ حتى يمات أو يهجر لأسباب اجتماعية، لكونها منافية للذوق الاجتماعي، أو أنها لخدش الحياء، أو تنافي الآداب العامة للمجتمع. فتُمات هذه الألفاظ بسلطة العرف الاجتماعي الذي يقوم بدوره بتقديم البديل عن هذه الألفاظ المماتة بصورة تتلاءم مع الذوق الاجتماعي ولا تنافي الآداب العامة، والكلمات العربية المماتة في هذا المجال أكثر مما نمثل بها، ومن ذلك كلمة "الكَنيف"، أصله الساتر، ومنه قيل للتُرس كنيف، غير أنه استعمل في الحُفَر التي تستر الحدَث وشُهر بها[٢]، إلا أن هذه الكلمة بهذا المعنى أصبح يمجها الذوق الاجتماعي في عصرنا الحاضر، فاستُعمل بدلاً منها –للدلالة على معناها– كلمات مختلفة مثل كلمة "المرحاض" و "الحمّام" و"دورة المياه" وغيرها، بينما هجرت كلمة "الكنيف"، وكلمتا "الحمّام"، و"دورة المياه" أكثر استعمالاً اليوم من كلمة "المرحاض" مما يؤذن بموتها أو هجرها مستقبلاً.

وليس كل كلمة أميتت بسبب الابتذال –قانون التضاؤل التدريجي– تخلفها كلمة أخرى مستحدثة لتحل محلها في الدلالة على معناها، وهذا يحدث كثيراً في بعض الكلمات الأدبية المجازية، وكلمات الشعارات المذهبية فيسلبها الابتذال قوة التأثير فيتضاءل استعمالها تدريجياً فينتهي بها إلى الموت، ومن ذلك كلمة "الجرباء" بمعنى "السماء" و "ابن قمير" بمعنى "الليل المقمر" و "ابن ذُكاء" بمعنى "الصبح"[٣].

والابتذال لا يصيب الألفاظ جميعها، بل يقع على بعض دون بعض، وهو منوط بكثرة الاستعمال التي تختلف من زمان إلى زمان، ومن مكان إلى مكان. كما أنه ليس كل لفظ كثر استعماله يؤول إلى الابتذال، مثل لفظ "الرأس" و "العين" و "الجبل" و "الحيوان"... الخ وما شابه ذلك،

---

[١] *دور الكلمة في اللغة. ص: ١٦٠.*
[٢] *سر الفصاحة، الخفاجي، ص: ٨٥.*
[٣] *البلغة في أصول اللغة، ص: ٢٢٨-٢٢٩.*

فهذه الألفاظ يستعملها أهل اللغة بكثرة فلا تعد مبتذلة، وكذلك ليس كل لفظ مبتذل مصيره الموت أو الهجر، ومن ذلك الألفاظ التي يكثر دورانها بين العامة من أهل الحرف ويقل استعمالها عند الخاصة.

إماتة المدلول:

المدلول هو: تصور ذهني للشيء الخارجين وهذا التصور قد يكون صورة مادية أو صورة معنوية، أو حتى مجرد عملية من عمليات الربط الذهني، ويذهب كثير من الأصوليين أمثال فخر الدين الرازي، والقاضي البيضاوي إلى أن الدالّ (اللفظ) موضوع بإزاء الصورة الذهنية، وليس للشيء الخارجي[1]، وعلى حد كلام هؤلاء الأصوليين يكون الدال موضوعاً للصورة الذهنية سواء كان لها وجود ذهني وخارجي مثل: إنسان، وطائر... الخ أو كان لها وجود ذهني فقط مثل: الرحمة، والعدالة، ويوافق رأي جومبكز (Gombocz) رأي هؤلاء الأصوليين إذ يرى أن الدال لا يرجع إلى الشيء الخارجي نفسه ولكن يرجع إلى فكرتنا عن الشيء[2]، أي إلى الصورة الذهنية التي للشيء الخارجي. وقد ذكرنا سابقاً أن بين الدال والمدلول –الصورة الذهنية– علاقة تبادلية إذ إن كلاً منهما يستدعي الآخر. وأن الدال يمكن أن يمات لأسباب مختلفة، وكذلك الحال بالنسبة للمدلول، فهو يمكن أن يمات فيتلاشى تبعاً لذلك الدال من اللغة.

ويمات المدلول نتيجة للأسباب الآتية:

١-موت الكائنات ومظاهر النشاط الإنساني.

في اللغة كلمات لا حصر لها هي أسماء ونعوت للأشياء في الحياة الواقعية سواء كانت هذه الأشياء مادية أو خيالية أو مجردة وسواء كانت أشياء طبيعية أو حضارية مثل الجبل والبيت والغول والعنقاء والحب وغير ذلك. ولكن قضية المطابقة بين الكلمات والأشياء ليست دقيقة نوعاً ما، وهي قضية أقلقت الفلاسفة منذ عصر أفلاطون؛ لأن "الأشياء في عالم التطبيق ليست مصنفة إلى مجموعات بحيث تكون في متناول اليد، فتتكلم عنها هكذا وننعتها بكلمة مفردة"[3]، فمثلاً الكلمات التي تطلق على الألوان في اللغات المختلفة لا تتطابق تماماً مع الألوان الموجودة في الواقع بدرجاتها المختلفة، وكذلك لو أخذنا كلمات أي حقل دلالي آخر فإننا لا نجد لها مكافئات دقيقة بين اللغات فيما بينها كحقل القرابة مثلاً. إن استيعاب الكلمات للأشياء أمر نسبي يختلف من لغة إلى أخرى، ولكن أيّاً منها لم يبلغ حد المطابقة الدقيقة بين الكلمات والأشياء.

وقد بذلت جهود مختلفة منذ العشرينات من القرن العشرين ومن قبلها جهود اللغويين العرب من كتَّاب الرسائل اللغوية وكذلك جهود ابن سيده (٤٥٨هـ) لمحاولة تصنيف اللغة إلى مفاهيم أو حقول،

---

[1] انظر المحصول في علم الأصول جـ١. ق١ ص: ٢٦٩-٢٧٠.

[2] انظر حوليات كلية الآداب بجامعة عين شمس، المجلد الثامن، ص: ١٤٤. مطبعة جامعة عين شمس عام ١٩٦٣م.

[3] علم الدلالة ف. د. إطار جديد. ص: ٤١، طبع ١٩٩٢م، ترجمة: صبري إبراهيم السيد. دار المعرفة الجامعية. اسكندرية.

ولعل أشمل التصنيفات التي قدمت حتى الآن وأكثرها منطقية، التصنيف الذي قدمه معجم (Greeh New Testament)[١] ويقوم على الأقسام الأربعة الرئيسة وهي: الموجودات (Entities)، والأحداث (Events)، والمجردات (Abstracts) والعلاقات (Relations).

وقد لوحظ أن أكبر الحقول في كل اللغات الحقل الذي يضم الأشياء والكائنات ويليه حقل الأحداث، وأقل منه حقل المجردات، وأقل الجميع حقل العلامات. وإذا كان حقل الأشياء أكبر الحقول الدلالية من حيث عدد الكلمات، فإن كلماته أكثر كلمات الحقول الدلالية عرضت للموت والانقراض؛ لأن هذا الحقل الدلالي يضم كائنات حية وأشياء طبيعية وأشياء مصنعة وجميعها عرضة للانقراض أو التغيير نتيجة لأسباب مختلفة كالزلازل والبراكين والفيضانات الجفاف وتنقرض الأشياء المصنعة بسبب نشاط إبداع الإنسان وطموحه الدائم للوصول إلى حياة أفضل عن طريق تحسين وسائل معيشته فتختفي الأشياء القديمة ويحل محلها الجديد المبتكر، يقول: (ول ديورانت): "الحضارة نظام اجتماعي يعين الإنسان على الزيادة من إنتاجه الثقافي (...) وهي تبدأ حيث ينتهي الاضطراب والقلق؛ لأنه إذا ما أمن الإنسان من الخوف تحررت في نفسه دوافع التطلع وعوامل الإبداع والإنشاء، بعد ذلك لا تنفك الحوافز الطبيعية تستنهضه للمضي في طريقه إلى فهم الحياة وإزهارها"[٢]، ولما كانت هناك علاقة ما بين الشيء الخارجي وصورته الذهنية فالكائنات والأشياء التي ماتت لسبب أو لآخر، فإن صورتها الذهنية تضمحل تدريجياً حتى تتلاشى من الذهن فيموت الشيء وصورته الذهنية ويموت اللفظ الذي يرمز إليها تبعاً لذلك فيختفي من الاستعمال اليومي، فعلى سبيل المثال فيما يتعلق بأنواع المنازل تلحظ أنها خضعت إلى عمليات تطوير مختلفة حتى أصبحت على ما هي عليه من المنازل الحديثة واختفى كثير من أنواعها السابقة من الواقع، واضمحلت تصوراتها الذهنية فماتت الألفاظ الدالة عليها من الاستعمال اليومي، ومن ذلك في اللغة العربية:

المسنَّم : هو من البيوت ما كان على هيئة السنام في تضايق أعلاه واتساع أسفله.

الأَزَجُ : ضرب من الأبنية وهو بيت يبنى طولاً.

الطربال : الصومعة العظيمة.

الجَوْسَق : البيت الصغير، وقيل هو شبه الحصن.

الحِفْش : البيت الصغير جداً، أو من شَعر.

الحفض : البيت الصغير، وبيت الشعر بعمده وأطنابه.

الجنْز : البيت الصغير من الطين.

الكبّة : البيت من اللبن.

---

[١] *علم الدلالة، أحمد مختار ص: ٨٧.*

[٢] *قصة الحضارة. ول ديورانت، ول ترجمة: فؤاد أندراوس جـ ١/٣.*

الكِبْس : بيت من الطين.

السَّنيق : البيت المجصص، الجمع سنيقان وسنانيق.

المحراب : البيت ينفرد فيه الملك فيتباعد عن الناس.

المَجْلُوهُ : البيت لا باب فيه ولا ستر.

الأجْهَى : البيت الأَجْهَى والمُجْهي: لا سقف عليه ولا ستر (أي مكشوف).

ومثال آخر: لقد كانت الإبل إحدى وسائل النقل القديمة فأطلق عليها العرب أسماء مختلفة باعتبار ما تحمله. ومن ذلك:

العِير : الإبل التي تحمل الميرة (الطعام).

العُراضة : الإبل عليها طعام أو تمر أو غيرهما من أنواع الميرة.

العسْجدية : الإبل التي تحمل النقد والذهب.

اللَّطِيمة : الإبل التي تحمل الطيب.

الظَّعُون : البعير الذي تركبه المرأة خاصة.

الظهر : الركاب التي تحمل الأثقال في السفر.

الحمولة : ما احتمل عليه الحي من بعير أو حمار أو غيره، كان عليها أحمال أو لم يكن.

البَضِيعة : ما يحمل عليه البضاعة، الجمع: بضائع.

الدَّجَانة : الإبل التي تحمل المتاع.

الضفاطة والضافطة: الإبل الحمولة، وقيل العِير التي تحمل المتاع.

والإبل موجودة في أيامنا هذه، ولكن الألفاظ التي خصصها بها العرب باعتبار ما تحمله تلاشت من الاستعمال الحديث أو كادت. والسبب في ذلك أن الإبل كوسيلة نقل لم تعد تستعمل في عصرنا هذا إذ حلّ محلها وسائل نقل متطورة اخترعها الإنسان في العصر الحاضر مثل القطار والسيارة والطائرة والبواخر الكبيرة، وعلى هذا فإن التصورات الذهنية لهذه الألفاظ التي أطلقها العرب على الإبل قد اختفت من الأذهان لأن الإبل التي تقوم بها هذه الصفات لم تعد تستعمل في مجالاتها المخصصة بها. وأصبحت حيواناً يقتني للدلالة على الثروة أو كسبها، أو للهواية، أو ينتفع بلحمه وحليبه.... الخ.

وفي مجال الملابس نراها عرضة للتطور والتغيير وتختلف في هيئاتها وأنواعها وطريقة ارتدائها من عصر إلى آخر، وكل عصر يلغي بعضاً مما عرف في العصر السابق عليه، فعلى سبيل المثال فيما يتعلق بطريقة ارتداء الملابس في العصور العربية السابقة، فقد عُرفت ضروب من الارتداء أو اللبس لم تعد قائمة في عصرنا الحاضر، مثل التأبط، والاضطباع، والاشتمال،

والاحتباء، والتلفع، والتدثر، والتوشح، والتفضل، والتثبن، والاستئفار، والاختصاف[١]. وكذلك طريقة حفظ اللحم في عصرنا الحاضر تقتصر على التجميد أو التبريد أو التعليب بينما في العصور العربية السابقة يقوم حفظ اللحم على طريقة التجفيف ويختلف اسمه باختلاف طريقة التجفيف، فمن أنواع اللحم المجفف عند العرب: القديد، والصَّفِيف، والوَشِيق، والعَفِير، والوزِيم، والمُتمر، والمشرور، والمحمّص، والشسيف، والقصيد، والطخمة، والكسيس، والجبجبة، والقبوب[٢]. إن النشاط الذي يمارسه متكلمو اللغة يؤدي غالباً إلى إحداث كلمات جديدة يطلق عليها كلمات الحضارة، وهذا النشاط المنتج وتصوراته وكلماته الدالة عليها تعمل غالباً نوعاً من الإزاحة للنشاط السابق وتصوراته وكلماته فيختفي كل ذلك من الاستعمال فينتهي به الأمر إلى الموت لحلول الجديد محله.

٢- موت النظم والعادات والتقاليد:

تهدف النظم المختلفة وكذلك العادات والتقاليد والأيديولوجيات إلى تنظيم حياة المجتمع وتوجيه حركة سلوكه إلى الأفضل، وهي تمثل مجالاً معرفياً مشتركاً بين جميع أفراده، يخضعون لسلطتها، وهي بوصفها مجالاً معرفياً مشتركاً يتناقلها المجتمع من جيل إلى جيل، وأثناء نقلها تدخل في تفاعلات مختلفة مع التغيرات الحضارية المادية، "وعبر مسيرة الزمن يفارق أناس الحياة، ويذهب معهم جزء من الشبكة الاجتماعية (Social Network)، كما يولد أناس، وسرعان ما يبدؤون في تكوين نمط جديد من العلاقات الاجتماعية.

وتأخذ الشبكة التي توجد بين أفراد الجماعة الاجتماعية تتغير تدريجياً، غير أن نبض المعرفة داخل الجماعة يستمر من جيل إلى الجيل الذي يليه"[٣]. إن هذا الجزء من حضارة المجتمع التنظيم الاجتماعي والأيديولوجية يتم انتشاره ونقله عبر الأجيال بواسطة اللغة، يقول هجمان: "فالأسماء التنظيمية، والألقاب المهنية، والألقاب الرسمية، تخصص جميعها أوضاعاً تقليدية للأفراد في الأنظمة التقليدية لتدل على أداء وظائف اقتصادية أو سياسية مجردة، ولكي تقوم منظمة ما بوظائفها ينبغي أن يأتي كل عضو من أعضائها بالسلوك الذي يتفق مع مجموعة قواعد الحقوق والمسؤوليات المرتبطة بموقعه في إطارها، والطريقة الوحيدة التي يمكن أن يتم انتشار هذه القواعد من خلالها هي اللغة"[٤]. ولكن لما كانت هذه النظم والأيديولوجية عرضة للتغير بفعل التطور الفكري والحضاري المادي والتقني للمجتمع فينشأ بعض الأنماط الجديدة من النظم والأيديولوجية تحل تدريجياً محل سابقتها فتشكل معها مركوماً معرفياً داخل المجتمع ينتقل عبر الأجيال فيكون هذا الجديد قد أقصى مقابله التقليدي فيلفه النسيان فيختفي من حياة المجتمع وتختفي معه الكلمات التي تدل عليه، فعلى سبيل المثال: في عهد المماليك أطلق (مَحْمَل الحج) على الجمال التي تحمل كسوة الكعبة المشرفة

---

[١] الإفصاح في فقه اللغة، حسين يوسف موسى، وزميله، جـ١/ ٣٨٨-٣٨٩.
[٢] انظر معاني هذه الألفاظ في المرجع السابق حـ ٤١٧-٤١٨.
[٣] اللغة والحياة والطبيعة البشرية روى سي هجمان، ص: ١٨٠-١٨١.
[٤] المرجع السابق. ص: ١٧٩.

وانضم المَحْمَل إلى قافلة الحج وصار تقليداً يتبع سنوياً إلى أن أوقف في عهد الدولة السعودية على يد الملك عبد العزيز. وكان يُحتفل بالمحمل قبل خروجه من القاهرة إلى مكة المكرمة. ويحضره السلطان وكبار رجال الدولة، وكان المَحمَل عبارة عن قبة من الخشب في غاية من الإتقان، وكانت الكسوة تنسج في دار الصنعة ولها عادات وتقاليد معروفة تتبع منذ إحضارها من دار الصنعة حتى رفعها على المحمل، فهناك عدد من الأسماء التنظيمية والألقاب المهنية والألقاب الرسمية داخل هذا التنظيم الاجتماعي، ومن تلك الألقاب والأسماء: أمير الحاج، الدّوادار، والعسَس، وقضاء المحمل، وشهود المحمل وكاتب ديوان إمرة الحاج، وأمير خور، وشادّ السنيح، والقباني، ومقدّم العكامة، وشاد المطبخ، وشادّ السقَائين، وشادّ المحمل الشريف، والمَحفداري، ومقدم جمال النفر، والرقية، ومقدم الضوئية، ومقدم الغشامة، ومقدم الهجانة، ومقدم الشعارة، ومقدم القواسة، وصبي الباب، والميقاتي، والمؤذن، والجرائحي، والطبيب، والكحال، ومهتار الطشت، ومهتار الشراب، ومهتار الفراش، والمعلم، والطباخ، والزردكاش، والنفْطي (البارودي)، ومهتار الركاب، والسائس، والرختوان، والبيطار، والمخبزي، ومبشر الدار، والمبيت، ومبشر الحاج، والكيال، والسمسار، وبخار السنيح، وبخار الكور، وخولي الأغنام، والزفوري، والسعادة[1]. فكل هذه الألقاب والأسماء كانت مستعملة داخل تنظيم محمل الحج إلى مكة مكرمة ولكن لمَّا توقف المحمل عن الوصول إلى مكة توقف التنظيم المصاحب له فماتت هذه العادة بجميع تقاليدها وعاداتها ومسمياتها فمات تبعاً لذلك ضمن تنظيمها معظم الألفاظ الدالة على هذا التنظيم، فلم يعد لها ذلك الاستخدام في الحياة المعاصرة وأصبح لتسيير قوافل الحجيج في العصر الحاضر تنظيم مختلف عن السابق يتمثل في بعثات الحج والمطوفين، كما أن كسوة الكعبة صارت تصنع داخلياً، وكذلك اختلفت وسائل المواصلات ونظام التغذية، وكل ذلك أتى بكلمات جديدة نابعة من التنظيم الحديث للحج في عصرنا الحاضر.

أنواع المماتة من الكلمات:

إن المتتبع للكلمات المماتة التي نص عليها أصحاب المعاجم القديمة يمكنه حصرها في الأنواع الآتية:

أ. الأصل.

أمات العرب كثيراً من أصول الكلمات وأبقوا على بعض مشتقاتها ومن الأصول المماتة الأفعال الآتية: تق، وهت، وجع، وكح، وذع، ورف، وشع، وشغ، وضغ، ومض، ولع، وقه، وبحن، ونجح، وعدث، وتعر، وعكث، وثهل، وجعن، وعهج، وردح ويزو، وسفج، ولحك، ومحن، ونيح، وونح ودخش، وخفد[2]، ونمرد، وردك، ودلس، وهدس، وعشد، ودفص، وصدل، وعدل، قدل، ودلن،

---

[1] درر الفوائد المنظمة، عبد القادر بن محمد، ص: ١١٧-١٧٣.

[2] جمهرة اللغة جـ١/ ٧٩، ٨٥، ٩٠، ١٠١، ١١٧، ١٢٤، ١٣٧، ١٣٨، ١٤٦، ١٤٨، ١٥٧، ١٦٥، ٢٨٥، ٤١٤، ٤١٩، ٤٢١، ٤٣٣، ٤٨٥، ٤٨٦، ٥٠١، ٣٣٥، ٤٢٦، ٤٧٤، ٥٦٣، ٥٧٢، ٥٧٥، ٥٧٥، ٥٧٨، ٥٧٩.

ومدن، ووده، وعذف، ووذل، وزغر، وزفر، وفرز، وصمر، وضرك، وعرط، وغطر[١]. وقد يكون الأصل الممات فعلاً مجهولاً، كما هو الحال في أصل كلمة (عِنْدَ أوَة)، قال الخليل "العِنْدَأُوَة: التواء وعُسر في الرجل... وقال: عِنْدَأُوَة: فِعْلَلْوَة، والأصل أميت فعله، لا يدري أمن عَنْدَي يَعْندى، أو عدا يعدو، فلذلك اختلف فيه"[٢]، وقد يكون الأصل الممات اسماً، مثال ذلك كلمة (القَيْصُون) قال الخليل: "القيصون من العشب: نبت على فيعول مثل قيصوم، وهو ما طال منه، يقال اشتقاقه من القصن كاشتقاق القيصوم من القصم، ونحو هذه الأشياء اشتقت من الأسماء وأميتت أصولها، ولكن يعرف لك في تقدير الفعل، قيل يكون القيعون من القيع كالزيتون من الزيت"[٣]، ولكن كل اسم ليس له فعل مما أميت أصله فمثلاً كلمة (النهجة) تعنى الربو يعلو الإنسان والرابة ولم يسمع منه فعل[٤].

ب- بعض مشتقات الأصل:

أمات العرب مضارع "عسى" وجميع مشتقاته[٥]، وأماتوا المصدر من (يذر) وكذلك ماضيه[٦]، وأماتوا اسم الفاعل والمفعول من (خرق)[٧]، وأماتوا كلمة (الوَدَى) –الهلاك– بالتخفيف[٨]، وأماتوا الماضي والمضارع والمصدر، وأبقوا على فعل الأمر فقط من الفعل (هاتي)[٩]، وأماتوا الماضي والمضارع والأمر وأبقوا على المصدر من الفعل (هاط)[١٠]، وأماتوا مضارع (تعالَ) وماضيه سوى الأمر منه[١١]، والأمثلة على ذلك من الكثرة بمكان.

جـ- الأسماء:

والأمثلة على هذا النوع أكثر من أن تحصى في لغة العرب، وكذلك الحال في اللغات الأخرى وخاصة فيما يتعلق بكلمات الحضارة والنظم والعادات والتقاليد والأيديولوجيات.

ولعلنا قبل أن نختم الحديث عن المُمات اللغوي نشير إلى قضية مهمة ألا وهي علاقة اللغة بحضارة المجتمع المادية والعقلية والخلقية؛ فاللغة هي التواصل باستعمال نسق من الرموز اللفظية المتواضع عليها بين أفراد الجماعة. اللغة والحضارة تعني كل ما أنتجته الجماعة اللغوية، وهي

---

(١) أنظر المرجع السابق جـ٢/ ٦٣٣، ٦٣٧، ٣٤٧، ٦٥١، ٦٥١، ٦٥٥، ٦٥٦، ٦٦٣، ٦٧٥، ٦٨١، ٦٨٣، ٦٨٩، ٦٩٧، ٧٠٢، ٧٠٥، ٧١١، ٧١١، ٧٤٦، ٧٥١، ٧٥٣، ٧٥٤.

(٢) كتاب العين جـ٢/ ٢١٥.

(٣) المرجع السابق، جـ ١٦٩-١٧٠.

(٤) المرجع السابق، جـ٣/٣٩٣.

(٥) المرجع السابق، جـ ٢/٢٠١

(٦) المرجع السابق، جـ٨/١٩٦.

(٧) المرجع السابق، جـ٤/١٤٩.

(٨) المرجع السابق، جـ ٨/٩٨.

(٩) البارع في اللغة، ص ١٤٣-١٤٤.

(١٠) المرجع السابق، ص: ١٣٢.

(١١) مقاييس اللغة، جـ٤/ ١١٨.

ضرورية لممارسة السلوك اللغوي. وهذه الصفة التلازمية بين اللغة بوصفها سلوكاً لغوياً وبين الحضارة باعتبارها منتجاً إنسانياً يقتضي ألا يبحث تاريخ الكلمات بمعزل عن تاريخ الحضارة، وهذا ما حاول البحث أن يتمحور حوله لأن موت الكلمات أو حياتها مرتبط بهذه العلاقة القائمة بين اللغة والحضارة.

إن علاقة الكلمات بالأشياء والواقع من القضايا المهمة التي يدرسها علم اللغة الحديث منذ مطلع القرن العشرين وهي لا تزال بحاجة إلى مزيد من الدراسة وخاصة في ظل تطور الأبحاث اللغوية والاجتماعية والأنثروبولوجية والنفسية وكذلك التطور التقني الهائل.

❐

فهرس المراجع والمصادر

(١) الإحكام في أصول الأحكام. ابن حزم- تح. لجنة من العلماء- دار الحديث، القاهرة.

(٢) إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، الشوكاني – دار الفكر.

(٣) الإفصاح في فقه اللغة: حسين يوسف موسى، وزميله- الطبعة الثانية.

(٤) الإيضاح في علوم البلاغة: القزويني- شرح وتعليق الخفاجي- ط٢: ١٩٧١م.

(٥) البارع في اللغة: أبو علي القالي – تح. هاشم الطعان.

(٦) البلغة في أصول اللغة: محمد صديق القنّوجي- تح. نذير مكتبي- بيروت ١٩٨٨م.

(٧) جمهرة اللغة: ابن دريد- بيروت، ط١، دار العلم للملايين ١٩٨٧م.

(٨) الخصائص: ابن جنّي- تح. محمد علي النجار- ط٢، بيروت.

(٩) درر الفوائد المنظمة: عبد القادر الجزيري- المطبعة السلفية ١٣٨٤هـ.

(١٠) دور الكلمة في اللغة: ستيفن أولمان- تر. كمال محمد بشر- مكتبة الشباب.

(١١) رسائل إخوان الصفا وخلّان الوفا: إخوان الصفا-بيروت ١٩٥٧م.

(١٢) سرّ الفصاحة: ابن سنان الخفاجي- بيروت، ط١: ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.

(١٣) شرح ديوان امرئ القيس- بيروت، دار الفكر، ١٩٦٨م.

(١٤) شرح المفصل: ابن يعيش، عالم الكتب.

(١٥) شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل: الشهاب الخفاجي- ط. الوهبية.

(١٦) الصاحبي في فقه اللغة: ابن فارس- تح. مصطفى الشويمي- بيروت ١٩٦٣م.

(١٧) طبقات النحويين واللغويين: أبو بكر الزبيدي- تح. أبو الفضل إبراهيم-ط٢.

(١٨)علم الدلالة: أحمد مختار عمر- الصفاة، الكويت، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.

(١٩) علم الدلالة، إطار جديد: ف. د. بالمر- تر. صبري إبراهيم السيد- الاسكندرية/ ١٩٩٢م.

(٢٠) علم اللغة الاجتماعي، مفهومه وقضاياه: صبري إبراهيم السيد- الاسكندرية ١٩٩٥.

(٢١) علم اللغة العام: فرديناند سوسور- تر. يوسف عزيز- طبع ١٩٨٨م.

(٢٢) قصة الحضارة: ول ديورانت- تر. فؤاد أندراوس- دار الجيل، بيروت.

(٢٣) الكتاب: سيبويه- تح. عبد السلام هارون- عالم الكتب، بيروت.

(٢٤) كتاب الإبدال: أبو الطيب اللغوي- تح. عز الدين التنوخي- دمشق ١٩٦٠م.

(٢٥) كتاب العين: الخليل بن أحمد الفراهيدي- مؤسسة الأعلمي، بيروت ١٩٦٧.

(٢٦) كلام العرب، من قضايا اللغة العربية: حسن ظاظا- بيروت ١٩٦٧م.

(٢٧) الكليات: أبو البقاء الكفوي- تح. عدنان درويش وزميله- بيروت، ط٢ ١٩٩٣م.

(٢٨) لسان العرب: ابن منظور- طبعة دار صادر، بيروت ١٩٩٢م.

(٢٩) اللغة والحياة والطبيعة البشرية: روى. سي. هجمان- تر. داود حلمي، ط٢ ٢٠٠٠م.

(٣٠) اللغة والفكر والعالم: محيي الدين محسب- القاهرة ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.

(٣١)اللغة والمجتمع: محمود السّعران- دار المعارف بمصر ١٩٦٣م.

(٣٢) المحصول في علم الأصول: الفخر الرازي- تح. طه العلواني- جامعة الإمام محمد بن سعود.

(٣٣) المزهر في علوم اللغة وآدابها: السيوطي- تح. محمد أحمد جاد المولى وزميليه- صيدا ١٩٨٦م.

(٣٤) المستوى اللغوي للفصحى واللهجات والنثر والشعر: محمد عيد- عالم الكتب.

(٣٥) معالم دراسة في الصرف: إسماعيل عمايرة- ط٢، العبدلي ١٩٩٣م.

(٣٦) معجم علم اللغة النظري: محمد علي الخولي- بيروت ١٩٦٢م-ط١.

(٣٧) المعرَّب من الكلام الأعجمي: الجواليقي-تح. أحمد محمد شاكر- القاهرة.

(٣٨) مقاييس اللغة: ابن فارس- تح. عبد السلام هارون- بيروت ١٤١١هـ/ ١٩٩١م.

(٣٩) المولّد في العربية: حلمي خليل- بيروت ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

(٤٠) نتائج الفكر في النحو: أبو القاسم السُّهَيليّ- تح: محمد إبراهيم البنّا- الرياض.

الحوليات:

-حوليات كلية الآداب بجامعة عين شمس- المجلد الثامن، مطبعة جامعة عين شمس ١٩٦٣م.

❐❐❐